

# عُلمَاء الأصْوَآت العَرَبِ سَبَقُوا اللغويين المحرفين ابتكار نظرية التماسات الدكتور عبدالعزيز مطر جامعة الكويت

ثم اضاف «دانيال جونز» ان هذا الاصطلاح قد يتسع فيشمل الحالات التي يتم فيها ادغام احد الصوتين في الآخر ، بحيث يكونان صوتا واحدا ويسمى هذا النوع «التماسات المجمع او الادغام» (Coalescent assimilation)

ويشرح هذا التعريف في معادلتين على النحو التالي :

- 1 - التماسات المعادي : الصوت : A يستبدل بالصوت B تحت تأثير الصوت C
- 2 - التماسات المجمع (الادغام) : الصوتان : A, C قد اثر كل منهما على الآخر ، وادغما واجتمعا في الصوت الموحد : B وتكتفي من امثله بما يأتي :

يمثل «جونز» للتماسات المعادي غير التاريخي بالتغير الذي يطرا على صوت ال S في الكلمتين: (Horse, shoe) . عندما تتركبان معا نحو Horse-shoe (حدوة الحصان) حيث تنطق ال S هكذا Sh (ش) ويمثل للتماسات المجمع (الادغام) Coaléscent Assimilation | بالكلمتين you don't فانهما تنطقان معا هكذا (Dountshu)

ظاهرة صوتية ذات اثر في التطور اللغوي ، اعترف بها ، ورسم حدودها ، وبين اثرها اللغويين المحدثون ، ويمثلهم في هذا البحث : اللغوي الانجليزي «دانيال جونز» (Daniel Jones) واللغوي العربي الدكتور ابراهيم انيس .

وسيفيف هذا البحث حقيقة جديدة ، هي ان هذه الظاهرة الصوتية قد عرفت ايضا عند اللغويين القدماء : ويمثلهم : سيبويه ( ابو بشر عمرو ت 180 هـ ) وابن جني ( ابو الفتح عثمان ت 392 هـ ) . وسنبدا اولا بتعريف هذه الظاهرة ، وتحديد معالمها ، وبيان اثرها في التطور الصوتي عند المحدثين ، ثم نعزز ذلك بعرض ما قاله لغويونا القدماء في هذا الصدد .

## 1 - التماسات عند المحدثين

- (1) فقد دانيال جونز فصلا في كتابه (An out line of english phonetics) تناول فيه ظاهرة التماسات (Assimilation) واثرها في تطور اصوات اللغة الانجليزية وقد عرف التماسات بأنه « استبدال صوت بأخر تحت تأثير صوت ثالث يكون مجاورا له في الكلمة او في الجملة »

كذلك يمثل «جونسز» بالكلمتين Roast beef حيث تحولت الـ S الى Z تحت تأثير صوت الـ B المجهور .

ومن العرب المحدثين عقد الدكتور ابراهيم انيس فصلا في كتابه « الاصوات اللغوية » (2) تحت عنوان : المائلة Assimilation شرح فيه الظاهرة ، و بين نوعيها الرجعي (3) والتقدمي (4) ومثل لكل منهما ، ثم وضع درجات تآزر الاصوات المتجاورة .

وقال في شرح المائلة .. « تتأزر الاصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام ... ومجاورة الاصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل ، هي السر فيما قد يعيب بعض الاصوات من تأزر » .

والاصوات في تأثرها تهدف الى نوع من المائلة او المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات او الخارج ، ويمكن ان يسمى هذا التأزر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللفظة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير ان اللغات تختلف في نسبة التأزر وفي نوعه (5)

ومع ان استاذي قد وفي هذه الظاهرة حقها شرحا وتوضيحا ، وتمثيلا وتعديلا ، لحظت انه لم يربط بين ما قرره المحدثون وما ذكره سيبويه وابن جنى ، على ما سنوضحه بعد .

ونمضي الآن في توضيح هذه الظاهرة ، وتحديد معاملها والتمثيل لها بامثلة من الفصحى واللهجات الحديثة ، ثم نقف بعرض آراء سيبويه وابن جنى وتحليلها .

اذا تجاور صوتان تجاورا تاما ، بحيث لا يفصل بينهما صوت لين ( حركة ) وكانا مختلفين في صفة الجهر والهمس ، او الشدة والرخاوة ، او الاطباق والانفتاح ، فان هذين الصوتين يميلان الى الانسجام بان يصبحا متماثلين في الصفة ..

واذا كان هذان الصوتان المتجاوران متقاربين مخرجا او صفة ، او متجانسين ، فان التماثل بينهما قد يصل الى ان يفنى احدهما في الآخر بادغامه فيه .

وفيما يلي توضيح لهذا التحديد للتماثل ، وبيان درجات التأزر بين الصوتين المتجاورين :

1 - الجهر والهمس : يقول الصرفيون ان فاء ( افتعل ) اذا كانت زايا قلبت التاء دالا ، نحو ازدرج ، ازدهى ، ازدان ، ازدلف ...

فما التفسير الصوتي لقلب التاء في : ازدرج ، وازدهى ، وازدان ، وازدلف وامثالها دالا ؟

في ضوء ظاهرة التماثل نقول : ان التاء قد جاورت الزاي ، والتجاور هنا تام ، اذ لم يفصل بين الزاي والتاء حركة . ولما كانت الزاي صوتا مجهورا وكانت التاء صوتا مهموسا فان الصوتين يميلان الى تحقيق الانسجام بينهما ، وهنا تأزرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها ، وحين يجهر بالتاء تصبح دالا لان التاء والدال من مخرج واحد ، فاصبحت الدال والزاي متقاربين كلاهما مجهور ..

ويسمى التأزر الذي تم في هذه الامثلة تأزرا تقديما ، اي ان الصوت الثاني وهو التاء تأزر بالاول وهو الزاي .

وفي قراءة ابن مسعود : ( اذا بعثر ما في القبور ) اي بعثر ، يقال ان العين وهي صوت مجهور ، جاورت التاء وهي صوت مهموس ، فتأزرت العين بالتاء فهست ، وحين همست العين تصبح حاء لان الحاء هي النظير المهموس للعين المجهورة ، ويسمى التأزر الذي تم هنا تأزرا تخلفيا اي ان الصوت الاول وهو العين ، تأزر بالتاني وهو التاء .

وفي اللهجة المصرية تنطق : جهاز تسجيل ، هكذا : جهاس تراجيل .

(2) الفصل السابع : من ص 126 الى 148 ( ط 3 - 1961 )

(3) (Régressive)

(4) (Progressive)

(5) الاصوات اللغوية : 126 .

وقد حدث هنا نوعان من التائر : تائر الزاي المجهورة في « جهاز » بالتاء المهموسة في « تسجيل » ، تأثرا تخلفيا ، فهمس بالزاي فأصبحت سينسا . وتأثر السين المهموسة في « تسجيل » بالجيم المجهورة تأثرا تخلفيا أيضا ، فجهر بها ، وحين يجهر بالسين تصبح زايا لأنها نظيرها المجهور .

وفي اللهجة المصرية أيضا ننطق : « خمس دقائق » هكذا : خمز دآيي . وننطق « بالنسبة » هكذا : « بالنزبة » . « وعلى حسب وداد قلبي » هكذا : « على حزب » .. والذي حدث هنا تماثل قلب فيه الصوت المهموس وهو السين الى نظيره المجهور وهو الزاي ، بسبب مجاورة السين للصوت المجهور ، وهو الدال ، أو الباء ، تحقيقا للانسجام الصوتي .

كذلك ننطق كلمة « اشدق » وكلمة « مشغول » بجهر الشين ، بحيث تقترب من الجيم الشامية (ج) وتفسر ذلك ان الشين ، وهي مهموسة ، جاورت الدال وهي مجهورة ، فجهر بالشين ، ليصبح الصوتان المتجاوران مجهورين .

2 - الشدة والرخاوة : قال اللغويون ان كلمة ست ( للعدد 6 ) أصلها : سدس ، فقلبت السين تاء فأصبحت سدت ، ثم ادغمت الدال في التاء . وتفسير الحالة الاولى ان السين وهي صورة رخو ، جاورت الدال وهي صوت شديد ، فتأثر الصوت الثاني بالاول تأثرا تقدما فقلبت السين الى نظيرها الشديد وهو التاء . اما الحالة الثانية فقد لنى فيها الصوت الاول ، وهو الدال ، في الصوت الثاني وهو التاء ، والتائر هنا تخلفي .

وقوله تعالى : ( وجاءت سيارة ) قريء بادغام التاء في السين . وتفسير ذلك ان التاء وهي صوت شديد جاورت السين وهي صوت رخو ، فتأثر الصوت الاول بالثاني فقلبت التاء الى نظيرها الرخو وهو السين . ثم حدث الادغام .

وقوله تعالى : ( ولولا اذ دخلت جنتك ) قريء بادغام الدال في الدال وتفسير ذلك ان الدال وهي صوت رخو جاورت الدال وهي صوت شديد فقلبت الدال دالا ليصبح الصوتان شديدين ، ثم حدث الادغام .

ومن ذلك قلب الباء الشديدة الى نظيرها الرخو ، وهو الفاء ، في قوله تعالى : ( ان تعجب فعجب ) وبعد القلب حدث الادغام .

3 - الاطباق والانفتاح : يقول الصرفيون : اذا كانت فاء ( افتعل ) صوتا من اصوات الاطباق : الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء ، قلبت تاء الافتعال طاء ، نحو : اضطرب ، واضطرب ، واطرد واطظلم ، وهي صيغ ( افتعل ) من الضرب ، والضرب ، والطرود ، والظلم ..

والذي حدث هنا هو قلب الصوت المنفتح وهو التاء ، الى نظيره المطبق وهو الطاء ، بسبب مجاورة التاء للصوت المطبق ، وهو الصاد ، أو الضاد ، أو الطاء أو الظاء ..

والتأثير هنا تقدمي ، أي ان الصوت الثاني تأثر بالاول . وانما تم هذا التائر ، ليتحقق الانسجام بين الصوتين المتجاورين بحيث يكونان مطبقين .

وفي اللهجات تقول : مصطرة اي مسطرة ، والماء يصخن ، بقلب السين صادًا ، وتفسير ذلك ان الصوت المنفتح وهو السين جاور الصوت المطبق ، وهو الطاء في : مسطرة ، والصوت المستملى وهو الخاء في : يصخن ، فقلبت السين الى نظيرها المطبق وهو الصاد ، تحقيقا للانسجام بين الصوتين المتجاورين .

4 - انتقال مجرى الهواء : يقرر علماء الاصوات ان مجرى الهواء مع الاصوات العربية يكون من الفم ، الا في صوتي الميم والنون ، فان مجرى الهواء معهما من الانف ..

وقد ينتقل مجرى الهواء مع اصوات الفم الى الانف ، وقد ينتقل من الانف الى الفم ، تحت ظروف لغوية خاصة ، هي التماثل غالبًا ..

ومن امثلة ذلك : ما رواه سيبويه في كتابه : ( : 2/412 ) من قولهم : اصحمترا ، يريد اصحب مطرا . فقد انتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف ، بسبب مجاورة الميم . وحين ينتقل مجرى الهواء مع الباء الى الانف تصبح ميمًا ، ثم حدث الادغام . كذلك انتقل مجرى الهواء مع النون من الانف الى الفم في مثل : ان لم تفعل ، حيث ادغمت النون في اللام ، وذلك ان النون ومجرى الهواء من الانف ، جاورت اللام ، ومجرى الهواء معها من الفم ، فقلبت النون لاما ثم حدث الادغام .

5 - انتقال مخرج الصوت : روى سيبويه في كتابه ( : 2 / 414 ) انه يقال في منبر : منبر بالميم

الصوتين في الآخر ، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالصوت الثاني غالباً أي أنه تأثر تخلفي . .

فإذا تجاوز صوتان متقاربين ، أو متجانسان نحو :  
انمت طالباً ، ادغم الصوت الأول وهو التاء في الثاني وهو الطاء ، فنطقت الكلمتان : انمطالبا ( سيبويه : 418/2 ) ونحو : حدثهم أي حدثتهم ، حيث ادغمت التاء في التاء ( سيبويه 420/2 )

ونحو خبطه أي خبطته ، حيث ادغمت التاء في الطاء ، والتأثر هنا تقدمي حيث تأثر الصوت الثاني بالأول ففني فيه ( سيبويه 2 / 423 )

وكذلك قوله تعالى : ( وجاءت سيارة ) حيث ادغمت التاء في السين .

والتجاور في الأمثلة السابقة تام ، حيث لم يفصل بين الصوتين بصوت لين ويسمى هذا الإدغام عند القراء : « الإدغام الصغير » .

وقد يحدث الإدغام مع وجود فاصل هو حركة قصيرة ، وهذا النوع وارد في قراءة أبي عمرو ابن العلاء ، نحو قوله تعالى : ( تكلا من حيث شئتما ) حيث ادغمت التاء في الشين ، مع وجود فاصل بينهما هو الضمة في ( حيث ) وقوله تعالى : ( وإذا النفوس زوجت ) بادغام السين في الزاي مع وجود فاصل بينهما هو ضمة ( النفوس ) .

7 - التماثل بين اصوات اللين : كما يحدث التماثل بين الاصوات الساكنة ، يحدث بين اصوات اللين تحقيقاً للانسجام الصوتي بينهما ، هو المسمى عند المحققين (Vowel harmony)

ويمكن ان نمثل له بما روي ان بني تميم كانوا يقولون : لثيم ، شهيد ، سعيد ، ونحيف ، ورغيف ونخيل ، بكسر اوائلها (6) وما يشيع في بعض اللهجات الحديثة من كسر الاول في نحو سعيد ونشيط وكبير . . . ونحو تحية ، بكسر التاء ، تحقيقاً للانسجام بين صوتي اللين المتجاورين .

ومن ذلك فتح الميم في مروحة ومبرد في اللهجات الحديثة ، بدلا من كرها كما تقضي العربية الفصحى في صيغة اسم الآلة .

ب - المسارعة عند سيبويه هي التماثل عند المحققين :

وفي القراءة الكريمة : ( انبئهم ) و ( من بعد ) اجمع القراء على قلب النون ميماً .

وفي لهجة الكويت نقول : السنبولة بدل السنبولة ( نوع من السفن الصغيرة او القوارب ذكره الهمخشري في الاساس ( قرب ) .

والتفسير الصوتي لما حدث هنا : ان النون جاورت الباء ، وتحقيقاً للانسجام بينهما انتقل مخرج النون الى مخرج الباء ، وحين تنتقل النون الى هذا المخرج تنطق ميماً ، لان الميم كالنون من اصوات الانف ، وكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ووجود الميم مجاورة للباء يحقق انسجاماً اكثر لان الميم في اصوات الانف ، تناظر الباء في اصوات الفم .

كذلك ينتقل مخرج القاف في لهجة الكويت الى وسط الحنك اذا جاورت صوت اللين الامامي ( الكسرة او ياء المد او الفتحة المرفقة او الف المد ) نحو : جربه ، جدر ، رفيع ، وجاسم ، بدل قرية ، وقدر ، ورفيق ، وقاسم .

وتفسير ذلك : ان صوت اللين الامامي جاور القاف ، ولما كان صوت اللين الامامي صوتاً يرتفع معه اول اللسان نحو الحنك ، او يهبط نحو قاع الفم ، فقد جذب مخرج القاف الى الامام ، فخرجت من مخرج الجيم ، لان كليهما صوت شديد مجهور .

كذلك ينتقل مخرج الكاف الى الامام في لهجة الكويت ، اذا جاورت الكاف صوتاً من اصوات اللين الامامية ، فيجذبها الى وسط الحنك ، فتخرج من مخرج الشين ، والجيم ، فتخرج صوتاً بينهما ، وهو صوت كالجيم الفارسية ، او كصوت (ch) في الكلمة الانجليزية : (Chicken)

وذلك مثل : جبير ، جلب ، باجر ، اي كبير وكلب وباجر .

وفي الحالات الخمس السابقة يبدو اثر ظاهرة التماثل واضحا ، حيث قلب صوت الى صوت يناظره ، تحت تأثير صوت ثالث . .

6 - الإدغام : يعد الإدغام أقصى درجات التأثر بين الاصوات المتجاورة حيث يلغى أحد

تناول سيبويه في اكثر من موضع من كتابه ، ما يحدث من تقرب بين الاصوات المتجاورة سمي هذه الظاهرة المضارعة ( : 426/2 ) وسماها التقريب ايضا (259/2، 427) كما تناول اقصى درجات التاثر بين المتجاورين ، أي الادمغام (404/2 - 426) .

وتتضح نظرية التماثل عند سيبويه في الباب الذي مقدمه تحت عنوان : « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه » (426/2)

ويعني سيبويه بالحرف الذي يضارع به حرف من موضعه : « الصاد الساكنة اذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو : مصدر ، واصدر ، والتصدير »

وبعد ان يبين سيبويه ان ادمغام الصاد في الدال، او ابدال الدال حرفا يناسب الصاد كالطاء غير ممكن في هذه الامثلة ، يفسر ما حدث في هذه الامثلة بانه مضارعة الصاد بالزاي ، أي تقريبها منها ، لان الزاي مجبورة كالدال ، فيتحقق بهذا الانسجام بين المتجاورين. وقد فسر سيبويه هذه المضارعة في موضع آخر من كتابه (259/2) اذ قال ، وهو يعمل امالة الالف الى الياء بسبب الكسرة ، بانها تقرب بين الحرفين : « ارادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادمغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر ، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة ، لان الصاد قريبة من الدال فقربها من اشبه الحروف من موضعها بالدال » .

ولكن سيبويه في المثال الاخير : صدر ، لم يقيد الصاد بانها ساكنة ، كما جاء في النص الذي عالج فيه المضارعة (426/2) .

ومما يؤيد ان ما حدث في الصاد هو تقريبها من الزاي قول سيبويه « ولم يبدلوا زايبا خالصة كراهية الاجفاف بها للاطباق » ثم يعقب سيبويه بانه سمع العرب الفصحاء يجعلون الصاد زايبا خالصة أي بدون طباق ، وينظر لذلك بدهاب الاطباق في الادمغام ، ويعني بذلك قولهم « انصالما ، أي انحص سالما » (418/2)

أي انهم يقولون في التصدير : التودير ، وفي الفصد ، الفرد ، وفي اصدرت : ازدرت .

ويعمل سيبويه المضارعة في حالتي التقريب من الزاي ، او ابدال الصاد زايبا بما نسميه « الانسجام الصوتي » ، فيقول : « وانما دعاهم الى ان يقربوها ويبدلونها ان يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا السننهم في ضرب واحد ، اذ لم يصلوا الى الادمغام ( الذي هو اقصى حالات التاثر بين الاصوات المتجاورة ) ولم يجسروا على ابدال الدال صادًا ، لانها ليست بزيادة كالتاء في الفعل ( أي ان الصوت الاول هو الذي تائر بالتاني وهو التاثر التخلفي ) .

وإذا كان اللغويون المحدثون يشترطون لتاثر احد الصوتين بالآخر ان يكون التجاور تاما بان يكون الاول مشكلا بالسكون (7). فان سيبويه قد نص على ذلك عندما قال : « لاما الذي يضارع به الحرف من مخرجه فالصاد الساكنة ، اذا كانت بعدها الدال » (426/2) كما يتضح ذلك من امثلة : التصدير ، اصدر ، الفصد ، اشدق ، اشدر (أي اجدر)، اجدمعوا ، واجدروا ( أي اجتمعوا ، واجتروا ) .

وان كان سيبويه قد خالف ذلك عندما قال في موضع آخر : ان في (صدر) تقريبا من الزاي (259/2). مع ان الفاصل هنا حركة .

ولكن شرط الابدال عند سيبويه الاتحرك الصاد، فقد قال بعد ان ذكر ان بعض العرب يبدل الصاد في التصدير والفصد زايبا خالصة : « فان تحركت الصاد لم تبدل ، لانه قد وقع بينهما شيء » بمعنى الحركة الفاصلة بين الحرفين .

وهذا يدل على لهم سيبويه لمعنى التجاور ، وعلى انه يرى ان الحركة تقع بعد الحرف .

ولكن هناك استثناء من شرط سكون الحرف الاول في حالة المضارعة ، اذ لاحظ سيبويه ان العرب قد يضارعون في حالة الفصل بالحركة ، نحو صدقت . ثم قال « والبيان فيها احسن » (427/2) واورد استثناء آخر من شرط التجاور اذ قال : « وربما ضارحوا بها وهي بعيدة نحو مصادر ، والصراط ، لان الطاء كالدال » ( يظن سيبويه ان المضارعة خاصة بالدال ، ولهذا يشبه بها الطاء حين وجد مضارعة في الصراط ) ثم اورد سيبويه ثلاثة امثلة اخرى تمت فيها المضارعة مع التجاور التام

1 - اشدق ، حيث تجهر الشين ، وهذا معنى قول سيبويه « فتضارع بها الزاي » وسبب الجهر

(7) الدكتور ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية : 131 .

اي ان السين لما جاورت واحدا من هذه الاصوات المتعلية نالرت به ففخمت ، وحين تفخم السين تبدل صادا . ولكن سبويه يبين ان « الامرف الاكثر الاجود في كلامهم ترك السين على حالها وانما يقولها من العرب بنو العنبر » (428/2).

وفي ضوء المضارمة كذلك يفسر سبويه قول العرب : ست ( اي العدد 6 ) ويذكر ان اصلها سدس . ويبين ان العرب لم يدمجوا الدال : « كرهوا ادغام الدال فيزداد الحرف سينا ، فتلتقى السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال . فابدلوا مكان السين اشبه الحروف بها من موضع الدال ، ليلا يصيروا الى اقل مما فروا منه اذا ادغموا ، وذلك الحرف التاء ، كانه قال سدت ، ثم ادغم الدال في التاء » (428/2)

وبدل على تعمق سبويه في فهم سر المضارمة واستخدامها في تفسير التغير الصوتي قوله في تعليل قول بعض العرب : يستيع بدل يستطيع : « ان شئت قلت : ابدلوا التاء مكان الطاء ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها ، كما قالوا : ازدان ( اصلها : ازان ) ليكون ما بعدها (الزاي) مجهورا » (429/2) .

اما المضارمة في الحركات (اصوات اللين) فتبدو عند سبويه فيما يلي :

1 - الامالة (259/2) قال : « فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسورة ، وذلك قولك هابد ، وعالم ومساجد،ومفاتيح،ومذافر،وهابيل . وانما امالوها للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي » اي ان الغرض من الامالة هو الانسجام بين اصوات اللين .

ويؤيد ذلك قوله في باب ما تقلب فيه الواو ياء اذا سكنت وقبلها كسرة ( نحو ميزان وميماد ) « فكان العمل من وجه واحد اخف عليهم ( وجسود حركة الامالة بعد الكسرة ) . . كما انهم اذا ادنوا الحرف من الحرف كان اخف عليهم ، نحو قولهم : ازدان واصطبر » (357/2)

2 - في تفسير باب فعل يفعل (مثل فتح يفتح) الذي ورد في الافعال التي عينها او لامها من حروف الحلق ( ا - ه - ع - ح - غ - خ ) قال : « وانما فتحوا هذه الحروف لانها سفلت في الحلق ، فكرهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجملوا من الحرف الذي في حيزها

هنا ان السين وهي صوت مهموس جاورت الدال ، وهي صوت مجهور ، فجهر بها لتحقيق الانسجام والتقارب ، وحين يجهر بالسين تقترب من الزاي . . ولما كانت الزاي من مخرج غير مخرج السين فقد عبر عن ذلك سبويه في عنوان هذا الباب ، حين قال « والحرف ( السين ) الذي يضارع به ذلك الحرف ( الزاي ) وليس من موضعه »

2 - اجدر ، حيث تنطق الجيم قريبة من الزاي ، اي جيما شديدة التمطيش ، وكثبت عند سبويه : اشدر ولما كانت الجيم والدال من الاصوات المجهورة ولم يجد سبويه تفسيراً لهذه المضارمة ، ظل ذلك بالقياس على المضارمة مع السين في اشدر ، اذ قال « وانما حملهم على ذلك انها ( الجيم ) من موضع حرف قد قرب من الزاي » يعني السين في اشدر .

3 - اجدمعوا اي اجتمعوا ، واجدروا ، اي اجترعوا . والذي حدث هنا ان التاء وهي صوت مهموس جاورت الجيم ، وهي صوت مجهور ، فتأثرت بها تأثراً تقديمياً ( الثاني بالاول ) فجهر بها اي ابدلت دالا .

وفي موضع آخر يفسر سبويه ، في ضوء المضارمة والتقريب ، قول العرب فيما كان على وزن مفتعل من الصبر : مصطبر : فيقول « فابدلوا مكانها اشبه الحروف بالصاد ، وهي الطاء ، ليستعملوا السنتم في ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد ، اذ لم يصلوا الى الادغام » (421/2) ومعنى قوله « ليستعملوا السنتم في ضرب واحد » ان نطق الصاد وهي مطبقة لا يلائم نطق التاء ، وهي مرفقة فابدلوا مكان التاء طاء للانسجام بين الصوتين المطبقين .

ومن المضارمة عند سبويه ايضا : قلب السين صادا اذا كانت بعدها القاف في كلمة واحدة ، عند بني العنبر ، ويعطى ذلك بقوله : « ابدلوا من موضع السين اشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد ، وهي الصاد » (427/2) ثم قاس على ذلك الغاء والعين « لانها بمنزلة القاف ، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق » ثم قاس الطاء على القاف ، لانها في التصعد مثل القاف . (428/2)

وهو الالف « (253/2) أي ان الفتح لمناسبة حروف الحلق لان الفتحة بمعنى الالف ، ومخرج الالف (هنده) من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء (2/405) »  
وهكذا نجد ال (Assimilation) وال (Vowel harmony) أي التماثل او المضارعة او التقريب ، والانسجام بين اصوات اللين ، واضحة جدا في فكر سيبويه (ت 180 هـ) .

### الادغام الاصغر والتقريب عند ابن جنى

عالج ابن جنى ظاهرة «التماثل او المضارعة» تحت عنوان «الادغام الاصغر» وتعريفه وامثله تنطبق على المضارعة عند سيبويه : يقول ابن جنى في الخصائص (141/2) في تعريفه « واما الادغام الاصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه ، من غير ادغام يكون هنالك ، وهو ضروب . »

وقد اورد ابن جنى من ضروب هذا التقريب : قلب تاء الافتعال طاء اذا كانت الفاء صاد او ضادا او طاء او ظاء (141/2) وقلبها دالا اذا كانت الفاء زاي او دالا او ذالا (142/2) وقلب السين صاد اذا وقعت قبل الحرف المستعمل فتقرب منه (142/2) واورد ايضا تقريب الصاد من الزاي لجاورة الدال ، في مصدر، والتصدير، وقول العرب في مثل « لم يحرم من فزده» اي من فصد له . ويقدم تفسيراً علمياً في ضوء التقريب ، او الادغام الاصغر ، فيقول في هذا المثل « اصله : فصد له ، ثم اسكنت العين ، على قولهم في ضرب : ضرب (بتسكين الراء بدل خفضها) وقوله ( القطامي ) :

ونفحوا في مدائهم لطاروا

فصار تقديره : فصدله ، فلما سكنت الصاد نضمت به ، وجاورت الصاد - وهي مهموسة - الدال - وهي مجهورة - قربت منها بأن اشمت شيئا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجمهور (الخصائص: 144/2) .

ولو ان لغويا محدثا فسر التماثل في هذه الحالة لما خرج مما قاله ابن جنى في هذا التفسير.

كذلك يفسر ابن جنى ما فسر سيبويه من قبل قول العرب : ست ( العدد 6) واصلها سددس (الخصائص : 145/2) .

ولم ينس ابن جنى التقريب في الحركات، ونجد من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت» اي الفتحة الى الكسرة (141/2) من ذلك عنده الامالة « انما وقعت في الكلام لتقريب العرب : شمير وبعير ورغيف ، بكسر او اللها (143/2) . وقولهم : فعل يفعل ( باب فتح ) مما عينه او لامة حرف حلقي ، نحو سال يسأل وقرا يقرأ . . » وذلك انهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق ، لما كان موضعا منه مخرج الالف التي منها الفتحة « (143/2) .

وقد تحدث اللغويون واصحاب المعجمات عن المضاربة والتقريب ، وفسروا في ضوءها كثيرا من التطور الصوتي ، ولكن ما قالوه لم يخرج عما وضع أسسه ، وبين حدوده ، سيبويه وابن جنى . اليس لنا ان نقول ان علماء الاصوات العرب القدماء قد سبقوا اللغويين المحدثين في كشف اسرار التفاعل بين الاصوات المتجاورة ، وابتكار نظرية التماثل Assimilation ؟ بلى .